

# قضايا الأدب والأدباء

## بنت الشاطيء وأدب النقد

بقلم الدكتور محمد يوسف نجم

تفد من نقد استاذها الكبير الدكتور طه حسين ، حين وقف أثناء مناقشة رسالتها للدكتوراه فأخذ عليها هجومها الشديد على المرحوم كامل كيلاني ، وقال لها : خير لك ولنا ان تشري مثل هذا الكلام خارج الحرم الجامعي ، فهذا الحرم أقدس من ان ترمى فيه التهم والمهاترات دون وجه حق .

اما مؤتمر هيئة الدراسات ، فقد كان بوسع السيدة الفاضلة ان تسأل استاذها الدكتور طه حسين عنه ، فقد كان في يوم من الأيام أحد المشاركين فيه ، وان تسأل استاذها وزميلها في رحلة « منظمة حرية الثقافة » الى زومة الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، وان تسأل الدكتور احمد زكي والدكتور عبد الحليم منتصر والدكتور مصطفى نظيف فكلهم شارك في هذا المؤتمر وعرف مدى السلطة الارهابية التي تملكها هيئة الدراسات العربية والتي تستطيع بها ان تفرض على كبار الباحثين ان يزيفوا آراءهم ويحوروا افكارهم ويبيعوا ضمائرهم لكي يحققوا اغراض الهيئة .

اما ما نسبته الى بعض الباحثين ، فلعل الماحة سريعة عنهم تظهر لك انك كنت على خطأ فيما ذهبت اليه فيه . فالدكتور صالح الطلي من كبار اساتذة التاريخ في جامعة بغداد . وقد كلف بالبحث بعد ان اعتذر عن المضي فيه الدكتور ناصر الدين الاسد ، المختص في هذا الموضوع ، وذلك بسبب انشغاله بتنظيم كلية الاداب والتربية في الجامعة الليبية ، وضياح وقته في اكتشاف مؤامرات زملاء له كانوا هناك تحيزوا ضده كما يتحيز امثالهم في كل مكان حلوا فيه . وكان الدكتور العلي آنذاك يقيم في بيروت ، والدكتور احسان عباس ، وأظنك تعرفينه جيدا ، كان انذاك استاذ في جامعة الخرطوم ولم يكن له بالجامعة الاميركية أدنى علاقة . ووليد عرفات فلسطيني وكذلك انا ، وشكري فيصل سوري ، تعرفينه جيدا ، ولم يكن ينتظر ان تبلغ به دماثة الطبع وحياة القلم واللسان ، كما قلت ، مبلغ التنازل عن ذكر الحقيقة والاشادة بها . ولم نختره لنجعله في منطقة الظل بل لانه كان يدرس هذا الموضوع في الجامعة السورية ، ولعلك تذكرين محاضراته فيه ، في مؤتمر الادباء الذي عقد في الكويت .

اما الدكتور محمد كامل حسين فلم ترحميه ميتا كما لم ترحميه حيا . فقلت عنه « لا تعرف له الحياة الادبية تخصصا او خبرة بغير المكتبة الفاطمية » . فهل هذا عيب يرمى به الباحث حين نكلفه في بحث موضوع تخصص بدراسته ؟ ليت عندنا يا سيدتي عددا من هؤلاء المتخصصين او ليت حياتنا الدراسية قائمة على التخصص اذن لارتحنا من شغب المشايخين وغرور المدعين . اعود للدكتور عمر فروخ ، فقلت ما زعمه من ان الموضوع فرض عليه فرضا ، ولذا آثرت الاتفاقيه . ولكن السبب لا يخفى علينا يا سيدتي فان الدكتور عمر فروخ لا يمكن ان ترميه بما رميت به الاخرين اذ انه لا يدرس في الجامعة الاميركية ، وله كتاب عن التبشير والاستعمار هاجم فيه هذه الجامعة ، اذن لا بد من التماس المعاذير الواهية لكي تتجنبه حتى لا تنهار نظرتك فينا نحن الضالعين مع الاستعمار المتكبرين لعروبتنا . ولبتك قرأت بحثه الاصلي الذي قدمه الى الهيئة . فقد كان كله هجوما على المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام وقد اتهمه - كما اتهمه سابقا - بسرقة نتائج ابحاثه . وهو لم يعدل في موضوعه ويستبعد تلك التهم الا نتيجة للنقد الشديد الذي وجه اليه أثناء مناقشة بحثه في المؤتمر .

اكتفي بهذه المقدمة فيما يختص بهيئة الدراسات وبزملائسي

سئت بهذه المقالة ان أرد على الدكتور بنت الشاطيء التي نشرت في الصفحة الادبية الاسبوعية للصحيفة الاهرام سلسلة من المقالات تناولت فيها بالنقد مجموعة الابحاث التي القيت في المؤتمر العاشر لهيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية ببيروت ، وكنت أرد لو أنسح المجال ليظهر الرد في الصفحة نفسها التي تصدر باشراف الكاتبة ، ولكن الذي حدث هو انها اكتفت بالاشارة الى المقالة اشارة عابرة في كلمة لها نشرت بالاهرام بعنوان « حرية الكلمة في المجال الادبي » ولعله كان اولي بحضرة الكاتبة ان تضرب صفحا عن مجرد الاشارة اليها من ان تظهر ضيقها بالنقد تحت تسترها بالدفاع عن حرية الكلمة .

وبما ان حضرة الكاتبة لم تجد في مقالتي الطويلة ما يجسم لها مسخ حرية النقد أكثر من بعض الالفاظ التي أوردتها بعد ان جردتها من سياقتها العام فأنني أرى لزاما علي ان أرسل نص المقالة الكامل الى مجلة « الاداب » .

م.ي.ن

\* \*

نشرت السيدة عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطيء ) في الاهرام تسع مقالات تناولت فيها بالنقد التهمم والسخرية المرة كتابا صدر في بيروت عن هيئة الدراسات العربية التي أشرف بالانتماء اليها . وقصد خصني السيدة الدكتور بالمثل الاخر بعد ان تحفزت له وأخذت تشوق القراء الى ما ستقوله عني . وليس من حقي ان ادافع عن زملائي وكلهم كفي قادر يستطيع ان يبين للسيدة الفاضلة خطأها في التصور وشططها في النقد واسرافها في توزيع التهم والالقاء وفي نشر الشعارات الحماسية . ولكنني استاذن زملائي اعضاء هيئة الدراسات في الرد على ما جاء في مقالاتها التسع خاصا بالهيئة ، ثم امضي الى الرد على ما تفصلت به علي من نقد .

اول ما يلفت النظر في هذه المقالات ان السيدة الناقدة تصورت هيئة الدراسات مؤسسة ذات سلطان قاهر تستطيع ان تفرض على الناس - ومنهم الدكتور عمر فروخ - ان يكتبوا ابحاثا معينة يتبنون موقفا خاصا تمليه الهيئة عليهم ولا بد ان يكون هذا الموقف منحرفا متحيزا لأن الهيئة في بيروت وفي الجامعة الاميركية بالذات . الامر من الوضوح بحيث لا يحتاج الى بيان ، فلو تصورنا ان هذه الهيئة منظمة ارهابية تفرض آراءها بالقوة ، فما الذي يسوغ لنا ان نتصور ان الباحثين العرب - ومنهم المصري والسوري والعراقي والفلسطيني والاردني واللبناني - يمكن ان ينصاعوا لهذا التهديد ؟ ولكن الفكرة التي استولت على ذهن السيدة الباحثة ، والمجد الذي اردت ان تحققه بنشر هذه المقالات ، كل ذلك جعلها تحاور وتداول وتفتمل القضايا وتشر الاتهامات وترفع الشعارات ، شعارات لا أعلم انها رفعتها مخلصه في يوم من الايام . كنت انتظر من باحثة جامعية تمتاز بجاهليتها وكثر من الحديث عنها الى حد الاملال ، وتتولى منصبا خطيرا في التعليم وفي الصحافة ان تترتب في احكامها وان تحترم الزمالة وان تحسن الظن بالناس . فالتقد الحر ، وهي من النقاد الاحرار الذين يهاجمون المنتهي فيما أعلم ، لا يقوم على تلغيق التهم وتحوير الكلام وعلى سوء الظن بالناس . امور كنت أظن أنها منزهة عنها حتى تورطت فيما تورطت به ، وظنت انها بذلك تدافع عن لقب « اميرة الصحراء » الذي اختارته لنفسها او اختير لها في السعودية سنة ١٩٥١ . وليست لهجة الاستعداد والظعن في وطنية الزمسلاء الباحثين من النقد النزيه الحر في شيء . كان السيدة بنت الشاطيء لم

الباحثين وأقدم إلى الرد على ما جاء خاصة بي في مفاك الأخير .

\* \* \*

لا أدري ما الذي أوحى إليك يا سيدتي أنني صممت على أن أخرج من الشوط فارسا للحلبة أو بطلا للسباق . فهذه أمور اعتقد من الواجب الترفع عنها وخاصة في مجال البحث العلمي . ولكنك يا سيدتي فعلت معي كذلك التي ذكرها المثل : « رمتني بدائها وانسلت » . أحببت أنت أن تخرجي فارسة ، ولذا استعملت ما يستعمله رعاة البقر من قسرع الاجراس والصراخ واطلاق الشمعات وطمع الخصوم كل ذلك ليكتب اسمك في سجل الخالدين ، وأي خلود ، ولكي تسجلي أنك اول مسن كشف نوابيا هؤلاء ( الخيلاء ) الذين يعملون صنائع لهيئة الدراسات العربية ويروجون لمبادئ الاستعمار حتى في ميدان البحث العلمي . أرجو أن تكوني قد انتصرت . فان لم تنتصري بعد فبوسعنا ان نتجمل بالصبر وان نقرأ كتابك النفيس الذي وعدت به القراء في آخر مقالاتك . تقولين : « فمن اللحظة الاولى بدأ فأخلى الميدان من كل الدارسين العرب في سورية والعراق وفلسطين والسودان وفي تونس والجزائر والمغرب واستبقى بضاعة مصر ولبنان لا غير كي يفرغ لها جهده وينطلق في الحلبة ملء عنائه » . ولو أنك قرأت مقدمتي التي شرحت فيها منهجي لعلمت أنني أتحدث عن « النقد النظري » باعتبار ان زملاسي الآخرين تحدثوا عن النقد التطبيقي في مجال موضوعاتهم . ولأدركت ان نقص المصادر والصحف والمجلات هو الذي حال دون ان أنصف تلك الافطار لو وجد عندها شيء . ولو اطلعت على الفهارس الملحقة ببحثي لوجدت أنني أثبت ما ألف وكتب في النظرية الادبية وحسب . على أنني بعد ذلك أرجو ان تذكر لي بحثا واحدا في النقد النظري في تلك الافطار لم أذكره لكي أفيد من أدبك الجم وعلمك الفزير .

ورأيتك تطعمين بعض العبارات بالبحر الاسود وتردديتها بعلامات الاستفهام والتعجب لفتنا للنظر . ومن تلك العبارات «الهلال الخصيب» . يا للسذاجة ! أظنني أنك وجهت الي طعنة مصمية حين أوحيت السي القارئ بأنني استعمل هذا الاصطلاح ، اذن فانا من دعاة « الهلال الخصيب » ؟ أيمكنني ان اتهمك ، بالنطق نفسه ، انك من دعاة الانفصال اذ لم تذكر الجمهورية العربية المتحدة مرة واحدة وكررت ذكر مصر وسورية ؟ تهم كنت أحب لك ، بما في نفسي لك من تقدير ، ان تترفعي عنها . فتوزيع التهم ليس من عمل الباحث الجامعي .

وأراك تشيرين باستهجان الى « المدرسة السورية المتمصرة » كأنك استكثرت عليها ان يكون لها دور في الادب العربي الحديث في مصر . اذا كانت الظنون قد ساورتك فأرجعي الى ابحاثي في القصة والمسرحية والى دراسة الدكتور حامد محمود شوكت ، بل أرجعي الى الاهرام والمقتطف والهلال والضياء والزهور والجامعة لتدركي معنى ما قلت . ثم تستكثرين على المدرسة السورية المتمصرة ان يكون المنطوي من تلاميذها . وان يكون فرح انطون من اساتذته ؟ لقد اعترف هو بهذا الفضل حين قال : « فارق مصر على أثر اعلان الدستور العثماني كثير من فضلاء

السوريين بعدما عمروا هذه البلاد بفضائلهم ومآثرهم وصيروها جنة زاخرة بالعلوم والآداب ولقنوا المظيرين تلك الدروس العالية في الصحافة والتأليف والترجمة وعندما كانوا بيننا سفراء خرين بين المدينة القريبة والمدينة الشرفية يأخذون من كمال الاولى لينتموا ما نقص من الاخرى وعندما علموا المصري كيف ينشط للعمل وكيف يجد ويجتهد في سبيل العيش وكيف يثبت ويتجدد في معركة الحياة » ( النظرات ١ - ٢٨٦ ) .

وأسأل ايضا لماذا كان المنطوي يرسل بنتاجه الى أدباء المهجر ليروا رأيهم فيه وأين تعرف الى فولتير وروسو وبرنارد دان دي سان بيير وسواهم ؟ ان عدم تأثر المنطوي هؤلاء الكتاب هو الذي يستهجن ، لا تأثره بهم . وهل يضير المنطوي ان يقال انه تلميذ فرح انطون ؟ انه شرف يا سيدتي كم تمنينا ان تكون من معاصري فرح انطون لنحظى به . وهل سمعت شهادات كبار كتاب العصر فيه ؟ شهادات سعد زغول ولطفي جمعة والعقاد والدبغ وحافظ عوض والرافعي ؟ وهل يمكن ان نتجاهل

فضل فرح انطون على الثقافة العربية المعاصرة ، ومقالاته في الحركة الوطنية في مصر ؟

ثم تلجأين الى تشويه كلامي على طريقة « لا تقربوا الصلاة » فتأتين بعبارات من فقرة تصورني للقارئ داعية لكرور وللاحتلال . أليس عندك حس السخرية يا سيدتي ؟ ولأعد الى تلك الفقرة اثبتها بنصها لكي يدرك القارئ مدى عبثك بالنصوص وشدك لها من شعرها لكي تأتي وفقا لما أردت . أقول تحت عنوان « نشأة المدرسة الحديثة » :

« كانت الاحداث السياسية والثقافية والاجتماعية في مصر في اواخر القرن الماضي واولائل هذا القرن تتجمع لاحداث انقلاب في الفكر المصري ظهر اثره بارزا في الادب والنقد . فالحرية النسبية التي وفرها كرومر للمطبوعات والاتفاق الودي بين فرنسا وفرنسة وانكثرة سنة ١٩٠٤ وحادثة دنشواي سنة ١٩٠٦ كل هذه الاسباب مضافة الى مآثر الاحتلال الإنجليزي منذ سنة ١٨٨٢ أدت الى نشوء عدد من الاحزاب المصرية سنة ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ . ومن أهمها الحزب الوطني الذي انشأه مصطفى كامل » .

لا اعتقد ان قارئنا - مهما كان سييء النية - يمكنه ان يستنتج من كلامي تلك المعاني التي أردتها حين انتزعت تلك العبارات فقلت : « الحرية النسبية التي وفرها كرومر » بينما قلت أنا « الحرية النسبية التي وفرها كرومر للمطبوعات » ولا يمكن ان يستنتج الاسمان بعد الاشارة الى الاتفاق الودي وحادثة دنشواي ونشأة الاحزاب الوطنية ان للاحتلال مآثر . كنت أسخر يا سيدتي ، أجل كنت أسخر وقد اتبعت كلامي في الاصل بثلاث نقط حذفها الطابع ، لسبب لا أعلمه . ولا أريد ان أتحدث عن نفسي وأعرفك بمعتقداتي السياسية فلا أظن أنني بحاجة الى تقديم حساب لك أنت بالذات فالذي يخدم عقيدة شريفة لا يدلل عليها فسي سوق النخاسة .

بقيت مسألة كرومر وحرية المطبوعات . هذه مسألة معروفة عند الباحثين ولأنقل لك ما كتبه الاستاذ عمر الدسوقي وهو استاذ مصري في دار العلوم لا في الجامعة الامريكية ببيروت .

« والان وقبل ان أترك هذا الموضوع أرى لزاما علي وأنا أودخ لهذه الحقبة من الادب الحديث ، وقد ذكرت فيما سبق سينات كرومر فسي التعليم ان أقول كلمة انصاف وأسجل هنا اثرا وحيدا من آثاره الا وهو حرية الصحافة في عهد الاحتلال او بعبارة أدق في عهد كرومر خاصة .

وإذا كان للورد كرومر من حسنات تذكر في هذا السبيل فأول هذه الحسنات واقواها اثرا في الادب هي اطلاقه الحرية التامة للمطبوعات وعلى الاخص الصحافة المصرية . فلم يكف افواه الصحافة او يقيدتها بقانون خاص وتركها للقانون العام » .

( في الادب الحديث ج ٢ : ٦٢ - ٦٤ )

ولولا هذه الحرية النسبية لما كانت الاهرام والمؤيد واللواء وسواها من الصحف المصرية تهاجم الاحتلال بتلك الصراحة التي عرفت عنها في ذلك الحين .

اما المدرسة الانجليزية فأنني لم اسمها كذلك بل هي عرفت بهذا الاسم بين الباحثين تمييزا لها عن المدرسة الفرنسية ( الذين تشققوا بثقافة فرنسية ) أمثال طه وهيكلم ومنصور فهمي ومصطفى عبد الرازق وعلي طه ومطران وشيخوب . وقد اعترف العقاد بثقافته الانجليزية ( شعراء مصر وبيئاتهم ) واعترف شكري بذلك ( الشعر والثقافة - المقتطف يوليو ١٩٣٩ ص ١٧٢ - ١٧٤ ) . على كل هذا من البدايات ولا أظن ان قارئنا من القراء يمكن حمله على انه دعوة للثقافة الانجليزية كما تصورت أنت .

اما ما قلته عن الجامعة الاهلية بمصر والذي أثار عجبك فأوردته على سبيل السخرية والتسفيه فقد أفدته من استاذنا الكبير الدكتور طه حسين ، واليك ما قال في مقدمة كتاب « في الادب الجاهلي » في هذا الموضوع بالذات ، يقول :

« كانت هذه هي الحال في مدارس الحكومة في اوائل هذا القرن وكانت الجامعة المصرية القديمة قد أخذت تغير هذا تقيرا فيما . فعنيت بالذاهيين النافعين في وقت واحد : عهدت الى الرحوم حفني ناصف

ثم الى المرحوم الشيخ مهدي بدرس الادب وعهدت الى الاستاذ جويدي ثم الاستاذ نلينو ثم الاستاذ فييت بدرس تاريخ الادب . فبينما كان الاولان يدرسان الادب ونصوصه المختلفة درس نقد وتحليل فيه حظ عظيم من العناية بالنحو والصرف واللغة والبيان فييثان في نفوس انطلاب حب الادب العربي القديم والميل الى قراءته واستظهار الجيد من نصوصه المختلفة وبنشأن فيهم الذوق وملكة الانشاء كان الآخرون يدرسون التاريخ الادبي بمناهجهم الغربية الحديثة فيعلمون لطلاب كيف يبحثون ويقارنون ويستنبطون . وكان كل الاسلوين في التدريس يتم صاحبه ويقوي اثره ويكون للطالب مزاجاً ادبياً علمياً مستقيماً خليفاً ان يسير حياة الادب العربي في شكلها وموضوعها كما يقول اصحاب القانون . وكانت الجامعة المصرية القديمة خليقة ان تصل الى هذه النتيجة وتنتهي الى هذه الغاية لولا ان صدمتها الحرب الكبرى واصابها العصر المائي ووقع الخلف بين أعضاء ادارتها وظهر فيها الميل الشديد الى الاقتصاد فجزت طائفة او كارهة عن دعوة الاساتذة المستشرقين واصافت درس تاريخ الادب الى درس الادب وكلفت المرحوم الشيخ مهدي بدرس ان يهض بالامر من معاً . ولم يكن المرحوم الشيخ مهدي مؤرخ آداب وانما كان رجلاً ادبياً يستطيع ان يقرأ القصيدة فيفهمها ويعين تلاميذه على فهمها يصيب هذا الفهم حيناً ويخطئه حيناً . ومهما نس فلن انسى درسا سمعته من المرحوم الشيخ مهدي بعد ان عهد اليه بتاريخ الادب . كان هذا الدرس في تاريخ الادب العربي في الاندلس وكنت حديث عهد بدروس الاستاذ نلينو وكنت حديث عهد بدروس الادب الفرنسي فسي فرنسا فلم املك نفسي ولم أستطع ان اسمع ما سمعت فخرجت من الدرس وما هي الا ان نشرت في احدى الصحف نقداً عنيفاً غضب له الاستاذ وشكاني . . . . . » ( الادب الجاهلي ٩ - ١٠ )

فهل اعتبر بعد قول الاستاذ الدكتور طه هذا مجالاً للمستشرقين ومتجنباً على الشيخ مهدي ؟

وتعجبين من قولتي عن الدكتور طه حسين : « هذا تحطيط موجز للنقد عند طه حسين على ان فضله لا يقتصر على ما كتبه وحسب بل على الروح التي تختفي وراء ذلك كله ، روح الشاعر المتحرر الذي يدعو الى تكريم الشك في كل القضايا التي تتصل بالعلم وينادي بوجوب تطعيم ادبنا بأدب الغربيين ومناهجهم في دراسة الادب ونقده . وقد يتاح لنا في يوم من الايام ان نحكم على جهود طه حسين النقدية بالنمط ونجاوز القصد وقد يتجرى البعض الى الكشف عن تاثراته بالدراسات الغربية ولكن كيفما دار الامر فلن يمحي من تاريخنا الثقافي الاثر الضخم الذي خلفه في تحرير العقول وتحريك النفوس والنووقف بشماعة في ابداء الرأي والايامن العميق بالثقافة الغربية وخاصة الافريقية والفرنسية يعينه على ذلك بلاغة مسترسلة وخطابة ومواربة تضمن له الدولة والصلوة في نفوس القراء والمريدين » .

هل تعتبرين ذلك غصاً من منزلة الدكتور طه حسين واثره في ادبنا العربي وكيف يكون الشئ ان لم يكن هذا ثناء ؟ وايم الله ان كل كاتب من كتابنا ليمتني ان يقال فيه بعض ذلك ولكن ماذا نفعل بالعين التي لا ترى الا من خلال منظارها الخاص ؟

ولم يعجبك حديثي عن احمد فارس السدياق ومارون عبود والياس ابي شيعة ورتيف خوري ولا أستطيع ان اقلعك برأيي واكتفي بان أقول لك اقراي اولاً ثم احكمي .

وتقولين اني استرسلت في دق الاجراس لاعلام ذلك العصر العظيم المنتصر . . . . . ولقد فاتني حقا ان اذعن هذا العصر بما نعته أنت فلك الشكر على تذكيري بقصوري ، على ان الذي جعل ابتسامه السخرية ترسم على شفطي هو اشارتك الى سعيد عقل التي يفهم منها انسي مدحته ومجده ودققت له الاجراس . اذ اخذت من كلامي قولتي : وسعيد عقل « داعية الرمزية وخطيبها » وعلى طريقة لا تقربوا الصلاة ايضا تركت الباقي ليأتي السري على قدر الجسم ولتحققني نظريتك التي ظننت انك تلبين بها مجداً . وسأقتبس كلامي عن سعيد عقل بنصه ليحكم القراء على التزوير الذي ارادته السيدة الفاضلة استغفر الله بل الدكتور

التي اتبعت منبرا تقف عليه لتقذف الناس بالتهمة وتقولهم ما لم يقولوا ، قلت :

« وبرز اسم سعيد عقل على الطرف المقابل فهو داعية الرمزية وخطيبها في تلك الابحاث النقدية القليلة التي كتبها ومن أهمها خطابها « كيف أفهم الشعر » الذي شرح فيه نظرية الوعي وألوسيقى ثم اعاده ملخصاً في مقدمته الجدلية . وقد تولى زميلي الدكتور انطوان كرم رد افكار سعيد عقل النقدية الى اصولها من كتابات الاب بريون وفاليري وملازمه ولا أرى داعياً للتكرار فقد وفي الموضوع حقه . ولكن كلمة موجزة في نقده بل في مذهبه الشعري أحب ان اقونها . ان سعيد عقل عسر الخطة صعب المزاولة تستطير له النظريات والازياء الغربية فيتأولها ويتبدلها في هواها يعنيه ان يسير معها على نهج سوي وعلى طريق لاجب . فهو رمزي تارة في النظر والتطبيق او رمزي نظراً كلاسيكي تطبيقاً على مذهب فاليري او كلاسيكي محض راسميني المنزع والمتجه اذا اراد ان يجود على العرب « بمرسح » لم يعرفوه في ادبهم » .

فهل هذا مدح يا معشر القراء ؟ هل هذا دق اجراس وتمجيد ؟ يؤسفني ايها الناقد الفاضلة ان تشوهي كلامي للمرة الثانية او الثالثة او الرابعة لا ادري .

اما حديثي عن الاستاذ الشايب فقد سررت اشد السرور لانسه اناح لنا ان نسمع من السيدة الناقد ثناء على الاستاذ الشايب لاول مرة في حياتها ، انه امر مستغرب دون شك . وما قلته انا يبقى حقيقة لم اقصده بها التجني على الاستاذ الشايب - وانا احترمه واجله - ولكن اردت ان اؤرخ فاذا اعوزك البرهان فاقرأني انكتب التي اشرت اليها . ثم الا يكفي مااعتذرت به عن الاستاذ الشايب حين قلت :

« على ان ذلك لا يبرفناً عن ان نعترف للمؤلف بفضل الريادة بصوغ بعض المصطلحات النقدية وبوضوح الاسلوب في هذا الموضوع الشائك الذي كثيرا ماتعثر فيه الاساليب » .

لماذا اغمضت عينك عن هذه العبارات ؟ لا ادري .

اما ما قلته عن المرحوم الاستاذ احمد امين فقد ايت اخلاقه - وقد كان دوماً خلوفاً وانت اعلم الناس بذلك - الا ان يقرره بنفسه ويعترف بأثر المؤلفات الغربية فيه فقال في المقدمة :

« ثم اتجهت الى تاريخ الادب عند الافرنج والعرب فتبعتهم في اصوله وقد تفضل الدكتور محمد النويبي الاستاذ في جامعة غردون بالخرطوم بترجمة بعض البصول في تاريخ النقد الغربي فاستفدت منه واقتبست من ترجمته . . . . . وقد يؤخذ علي في تاريخ النقد عند الافرنج اني اعتمدت في تاريخ حركة النقد وتاريخ النقاد ومذاهبهم ومزايهم وعيوبهم على ما كتبه بعض المؤرخين الغربيين من غير رجوع بنفسي الى المصادر الاولى نفسها لاكون فيها رأياً خاصاً اكون انا المسؤول عنه وهذا حق »

هل ارمت بالتجني بعد هذا الاعتراف الكريم ؟ ثم نمضي في تصفح الكتاب فنجد انه من ص ١ - ٢٢٤ مأخوذ اخذاً يكاد يكون حرفياً من كتاب هدمن « ارجعي الى الكتاب لتحكمني » وفي ص ٢٦٧ يذكر في الهامش ان تاريخ النقد عند الافرنج مقتبس من كتاب تاريخ النفسد لسانتسبري ودائرة المعارف البريطانية وغيرها . ويمضي هذا القسم من ص ٢٦٧ - ٤١٢ لم نر فيها للاستاذ رأياً . فهل تجنيت حين نقلت الى القارئ ما اعترف به الاستاذ الكريم رحمه الله .

وسكت ياسيدي هنا عن ثنائي على محمد غنيمي هلال وسعيد قطب وخلف الله ومصطفى سويف وشكري عياد ومحمد تيمور وكلهم مصريون فيما اعلم . سكت لان ذلك ينقض نظريتك . اعجب والله اشد العجب لهذه العين التي لا ترى الا المعاييب !

اما ماقلته عن الدكتور محمد مندور فقد شوه اشد الشويهه ليحقق نظرية الدكتور ، ولئن ساقني اسفي وحزني على ما تردى اليه هذا الناقد العظيم ، الى ذكر اسباب من حق التاريخ ان تذكر - ولولا ان استاذي الدكتور مندور اهتز لها وتأثر بفضل وشاية الاستاذ عبيد الكريم الاشر وتخريره ، سامحه الله ، لما اسفت عليها - وقد كسان واجبي كدؤرخ يفرض علي ان اشرح كيف انتهى هذا الاستاذ الكبير كما

ينتهي أبطال التراجيديات اليونانية . واقتبس هنا ماقلته عن الدكتور مندور لاحكام القارئ فيه بعد ان اعلنت اعتقادي عما ظنه الدكتور مندور اساءة ، مع انني لم اقصدها وهو يعلم ذلك . قلت : « ص ٣٥٨ - ٣٥٨ » .

( يفتتح الدكتور محمد مندور صفحة جديدة ناصعة في تاريخ النقد العربي الحديث ، لو لم تسودها السياسة وبعت بها المرص والحاجة ، لفدت من انصاع الصفحات في تاريخنا الادبي .

نخرج مندور من قسم اللغة العربية في الجامعة الجديدة في الفترة الاولى سنة ١٩٢٩ ، ثم ارسل في بعثة الى فرنسا امتدت مايقرب من تسع سنوات عاد بعدها الى مصر سنة ١٩٣٩ ، لا يحمل شهادة كزملائه ، ولكنه يحمل في صدره ثقافة عميقة في الادب الكلاسيكي والادب الاوروبي واضطر الى ان يعود الى الكلية طالبا ، وبعد رسالة للدكتوراه عن « اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع الهجري » ، ويحصل على الدكتوراه سنة ١٩٤٣ ، لكي يعين مدرسا في جامعة الاسكندرية . ولكنه سرعان ما يستقيل من الوظيفة وينصرف الى المهن الحرة ، فيشتغل بالبحاثة والصحافة .

وتنقسم حياته النقدية الى ثلاثة اطوار ، الطور الاول من سنة ١٩٤٢ - ١٩٤٥ والثاني ١٩٤٥ - ١٩٥٣ والثالث منذ ١٩٥٣ حتى اليوم . كان في الطور الاول ناقدا حقيقيا ينبعث من حدود علمه وذوقه ويعتبر النقد بالنسبة اليه رسالة حياة ، ولذا يبدأ معاركه النقدية بمراجعة المفاهيم السائدة . وقد جمع مقالاته الاولى في كتاب « في الميزان الجديد » الذي يعتبر بدء مرحلة جديدة في النقد ، قائمة على الثقافة العميقة الشاملة ، والذوق الرفيع المهدب ، والاخلاص المتصل ، والعمل الجاد .

وقد بسط مندور منهجه في النقد الذي دعاه بالمنهج الفقهي فسي مقدمة ذلك الكتاب ، وفي فصلين هما « مناهج النقد - تطبيقها على نبي العلاء » و « المعرفة والنقد - المنهج الفقهي » وهو قائم على فن دراسة النصوص وتمييز الاساليب ، دراسة تسندتها المعرفة والعلم ، فهو يقول مع استاذة لاسون « ان ما نستطيع ان نأخذ من العلماء هو النزعة الى استطلاع المعرفة والامانة العقلية القاسية والصبر الدؤوب والخضوع لواقع والاستعصاء على التصديق ، تصديقنا لانفسنا وتصديقنا للغير ثم الحاجة المستمرة الى النقد والمراجعة والتحقيق » . وتمييز بسين الاساليب ، مستند الى ذوق مهرف مثقف مستنير ، خالط الاثار الادبية قديما وحديثا ، واعتز معها وتقبلها بروح حانية .

وقد اخذ مندور يبشر بهذا المنهج منذ عودته من فرنسا ، وكانت الفترة الارخوانية في حياته هي ١٩٤٣ - ١٩٤٥ . بعد ذلك التفت الى السياسة وانغمس فيها ، وشارك في نشاط الطليعة الوفدية ، التي كانت تعتنق اليسارية لمحاربة حكم السعديين . وقد كانت هذه الفترة فترة ركود بالنسبة اليه ، لن نخدع ونقول معه انها كانت فترة تجربة وممارسة اتيح له فيها ان يضع نظرياته الثقافية موضع المراجعة والاختبار . وكان من ثمرات هذه الفترة العجفاء كتاب جمع فيه محاضراته في النقد التي كان يلقيها على طلاب المعهد العالي للفنون المسرحية وسماه « في النقد والادب » وهو اقرب الى الملخصات والنواحي منه الى الكتب المؤلفة بعناية وتؤدة .

وفي اواخر سنة ١٩٥٣ ، انشئ معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، ووقع اختيار المسؤولين فيه على الدكتور محمد مندور ليكون محاضرا . فعاد مندور الى الادب وقد هاضه المرص وارفقته السياسة ، وحملته ضرورات العيش على ان يقبل كل عمل يوكل اليه ، فاستمرت ابحاثه في هذه الفترة بالسرعة والنقل والمجازفة في الاراء وبالسمة التي تعب في بنائها . وقد جمعت محاضراته في المعهد في كتب منها « ابراهيم المازني » و « خليل مطران » و « مسرحيات شوقي » و « الشعر المصري بعد شوقي » و « في الادب ومذاهبه » و « المسرحية الشعرية بعد شوقي » و « ولي الدين يكن » . وجاءت

الصحافة الادبية ضغفا على ابالة فهو يكتب في المجلات الاسبوعية والشهرية وفي الصفحات الادبية من الصحف اليومية ويحاضر في قسم الصحافة بكلية الادب وفي معهد التمثيل ومعهد الدراسات العربية العالية ، كل ذلك فرضته عليه مطالب العيش والشعور بدنو الاجل واجبال القرينة وتعطل القدرة الذي استولى عليه بعد المرص .

بقي ان نميز في نقد مندور بين موقفين ، الموقف النظري السدي انصرف فيه الى نظريات النقد ، ونقد النقاد ، وقد استنفد اكثر جهوده ، واشهد انه صدر فيه عن ثقافة عميقة شاملة ، والنقد التطبيقي ، الذي حمل عليه حولا فيما ارى ، بحكم عمله في معهد الدراسات العربية ، هو نقد محول عن طريقته يتسم في الاكثر بالسرعة والنصفج وعدم الاثزان . واذا كان لنا ان نحكم على قيمة الناقد من خلال ما حققه في نقده التطبيقي فمندور في نظري لم يرتفع بنقده هذا الى المستوى الذي بشر به فسي النظريات التي بثها في اول حياته النقدية . وما يزال مندور عندما يضطر الى دراسة كاتب او شاعر يتكفي على كتبه او يتكفي على ذلك الرصيد النظري الضخم الذي جمعه في مطلع حياته الثقافية ، فنسراه ينحرف ، لاوهى الاسباب الى الحديث النظري في الشعر او القصة او المسرح او مذاهب الادب عمل المتعلم الريض والمتأدب المناشيء . وسبب ذلك فيما ارى ، هو ان مرحلة النصفج التطبيقي في حياته كانت سريعة ممتدة ، وكما كنا نتمنى ان يستمر في التدريس الجامعي المنظم ليمتسح لهذه النظريات التي اختزنها ان تفتح وتستحصد بتؤدة وتعقل . ولكنه ذهب ضحية طموحه ، ذاك الطموح الذي اغراه بالعمل السياسي ، وقيدته بالصحافة ، وساقه الى السجن في يوم من الايام .

اما ما قلته عن الدكتوراه سهير ، وانا اجلها واحترم ادبها وتهديتها فلم يكن تهجها كما ارادته السيدة عائشة عبد الرحمن . واشعر هنا انها انما اعدت كلامي لتستغله في الدم في معرض الدفاع . ولا يضير الدكتوراه سوير الا تكون استاذة للغة العربية ، ولا يضيرها الا تكون استاذة نقد ، وهي فاصة مبدعة وباحثة متأنية ومترجمة انيقة الاسلوب . وكل ميسر لما خلق له . ولا يطلب من السيدة بنت الشاطيء مثلا ان تكون شاعرة او كاتبة مسرحية وهي مفسرة تحسن التفسير ودارسة وكاتبة تراجم ورحلات . ولم يقل احد ان طه حسين ليس استاذا كبيرا لانه لم يدرس النقد في الجامعة ولا قال احد ان احمد امين لم يترك في تاريخنا الثقافي اثرا بعيدا لانه لم يحسن تدريس النقد في الجامعة . واذا كانت السيدة بنت الشاطيء تظن ان حديثي عن مندور وسهير تهج على الاشخاص فاني اقول لها « العفو » . الم تهيمنا بالخيانة الوطنية وبيع الضمان وتحريف الحقائق وسوء النية لاننا استاذة في الجامعة الاميركية ؟

اما فيما يتصل بالنقد اماركسي فقد كتبت الكاتبة نفسها مؤونة التخبط في موضوع لاتعرفه كما قالت واستعدت علي الكتاب الماركسيين ، وانا بانتظار تصحيحهم لاطناني لكي افيد منه .

## كتابان خطيران

غارنا في الجزائر لجان بول سارتر

الجلادون لهنري اليغ

ترجمة عايمة وسهيل ادريس

دار آداب

اعود الى لهجة البحث والالفاظ والشعارات التي استعملتها الاستاذة الناقدة . فاطمئنتها الى ان تحريضا هذا لن يجديها نفعا حتى في مصر . فلكل مكانته في عالمنا العربي وقارتنا ليس من البساطة التي افترضتها السيدة عائشة عبد الرحمن فيه ، حتى يصدق ما قالت ويوسمه ان يقرأ الكتاب وان يقرأ ما كتبت ليكشف التزوير والعيب بالنصوص ، ويعلم ان السيدة الباحثة ادركت منذ البداية ان مصير مقالاتها الاخفاق ان لم تلجأ الى الافتئات علينا وتقولنا ما لم نقل ولذا عمدت الى ما عمدت اليه . وبعد فلي سؤال احب ان اوجهه الى ضميرك الذي لا اشك انسه مازال حيا : الم تجدي في جميع هذه الابحاث وفي الجهود التي بذلت فيها ما هو جدير ببعض الثناء ؟ اكانت تلك الابحاث كلها خطأ ونهافتنا حتى انك لم تجودي على فكرة واحدة في اي منها بعبارة ثناء ؟ استودعك الله راجيا ان تسرعني في اصدار هذا الكتاب الذي وعدتنا به ليكون لنا موكف اخر نصصح فيه المفايس ، محترمين الاخلاق والقيم ، دون ان تلجأ الى طعن الناس في وطنيتهم وعفائهم لتحقيق غاية في نفس يعقوب وانا لمنتظرون .

محمد يوسف نجم

## (( الاداب )) بين النقد والحقد

بقلم : حسن احمد حسان

لعل من المبهيات والتي لا يكاد يختلف فيها اثنان ، ان القارىء العربي في هذه الاونة قد صار على درجة من الوعي والادراك الواسعين . وهو بالتالي لا يتقبل كل مانع عليه عيناه من مجلات ومؤلفات ، ولكنه يقرأها بأناة وروية ويعمل فيها فكره ومن ثم يستطيع التفريق بين غثها وسمينها بل وفي بعض الاحيان قد ينقد ما يقرأ بفهم واستبصار حسب درجة ثقافته واطلاعه .

ولا مراء ايضا ان المطابع في هذه الاونة في نشاط مستمر واسرع وهي لاتني تغذف بانكسر من المؤلفات والمجلات الادبية وغير الادبية ، مما جعل القارىء يركض في سباق مع الزمن ومع هذه المطبوعات التي تنهال عليه من كل اتجاه ، ولذلك ومهما كان القارىء مهما في اطلاعه فان زمنه المحدود الوجيز صار لايسعفه ويتيح له الاطلاع على كل ذلك السيل المنهمر ، ومن ثم فانه يلجأ - ولا مفر له من ذلك - الى التنقيب عن ما يستفده ويراه أكثر صلاحية ونفعا لقراءته واطلاعه حتى يتسنى له السير في رحاب الركب الثقافي حسب مقدرته واستطاعته .

ولهذه الاسباب وغيرها فان لنا مفسر القراء المواطنين ثقافتا لاتحسد في بعض ما نقرأ من مجلات .. والتي نحس تماما بانها تحترم عقول قرائها كل الاحترام ولا تدخر وسعا في تقديم ارقى النتائج اليهم سواء في مضمون الشعر او القصة ، الابحاث او النقد وغير ذلك من فنون الادب ، وتقف في طبعة تلك المجلات النظيفة وما أفلها ، مجلة الادب والتي نعلم تماما انها في مدى عمرها الذي يربو على العشر سنوات لم تال جهدا في ربط أجزاء هذا الوطن العربي برابط ثقافي ووطني رقيقين وصارت بمثابة برلمان ثقافي ويساهم في تغذيتها مختلف الادباء العرب .

ولذلك فاننا نشعر بأسى لافح وبالم عميق عندما نرى هجوما محموميا يتناول مجلة نظيفة لها بين جوانحنا كل احترام ومودة . ولو كان ذلك الهجوم عابرا لما اوليناه اهتماما ولاعتبرناه ضربة النجاح العابرة والتي لابد ان يكابدها الناجحون ، ولكن مع الاسف ان ذلك الهجوم العجيب اخذ يتكرر في اوقات متقاربة وفي كل مرة يزداد حقدنا لسنا نعرف له سببا ومن اديب يتوخى النزاهة والنقد الباني في كتاباته كما يزعم .

فمنذ فترة كتب السيد منير صالح ، وهو اديب له مكانته بين ادبائنا

السودانيين ، مقالة في احدى الصحف المحلية وبعد ان مضمص حضرته شفتيه متحسرا على الادب وايام الادب التي ولت مع الرسالة والثقافة والرواية ، قال فيما قال « تذكرت هذا وتحسرت بعد ان اجلت الطرف هنا وهناك فلم اجد الا ادبا ضحلا في الصحف العربية التي ترد اليينا (( كالاداب )) وسواها وما يرد من مجلة صباح الخير وغيرها من شعير وادب ، فهي مجال لكل مدع ائيم .. وبها شعر ونثر لاسمح بشره صحفنا المحلية لانه دون المستوى ، وعجبت للمتعجبين الذين يرون في هذه الصحف مشاعل للنور وهي مجال خصب للسارفين ، وهي مجال لنشر الجهل من شعر منشور اسميه الشعر الخبيث ، شعر يفتخر الى كسل المقومات الادبية والفنية ويحتاج الى عناصر الابداع واللغة والخيال فهو خبيث القصد سيء الاتجاه . صرنا نقرأ لعبد الصبور وامثال عبد الصبور نقرأ لهم عمر زهران في (( خده شامه وفي يده علامه )) ونقرأ لغيره قصيدة طويلة لاتخرج منها الا بامثال (( لكنما وعندما وليتما وبينما )) لاشيء يربط بين هذه المساءات (( الخ ..

هذا بعض ما كتبه السيد اديب وداب على ترديده من حين لآخر ، وقد كان في الامكان صرف النظر عنه واعتباره كلاما عائما غير مركز وبالتالي يستحق الاهمال ، ولكن في بعض الاحيان قد يقرأ احدنا شيئا فيشير القبط والاعصاب ولا يستطيع ان يهمله ويتركه حتى لو اراد ذلك ، لما فيه من مفالطات وتحريفات تطلق جزافا وبلا ضابط او رابط اطلاقا .

ومن تلك المفالطات او التحريفات (( المثيرة )) ادخاله مجلة صباح الخير في زمرة المجلات الادبية ومقارنة ما يكتب فيها بالاداب وغيرها ، فهل هي كذلك ؟ .. ام هي مجلة لها طابعها واسلوبها الخاص وبالتالي يصير ادخالها ومقارنتها بالمجلات الادبية عبثا في عبث ؟ ويقول (( انها - اي تلك المجلات - صارت مجالا خصبا للسارفين ، ولقد كان بودنا لو دلنا الاستاذ مشكورا على تلك السرقات وما هي ، ليس ذلك اجدي بدلا من اطلاق الكلام هكذا على عواهنه ، ام ان هذه طريقة جديدة في النقد وذلك بان نهاجم ونتهم دون ان ندعم كلامنا ببراهين او اسانيد ؟

واننا ولا شك نشارك الاستاذ في تحسره على اختفاء مجلات ادبية كالرسالة والثقافة وغيرها ، ولكن في نفس الوقت لدينا سؤال وبأ حذا لو حاول السيد الكاتب ان يوجهه الى نفسه بدلا من هذا التحسر الذي لن يجدي شيئا بطبيعة الحال . والسؤال هو ، لماذا ياترى اخفت تلك المجلات والتي حملت مشعل الثقافة والفكر لادم طويل ؟ .. والجواب في رأينا - ومع احترامنا لمن يهمهم الامر - يكمن في ان تلك المجلات قد انفصلت عن واقع قارئها العربي الذي اصبح بدرجة من الوعي لاستهوان بها .. وكان بالتالي ينتظر منها ومن كتابها الافاضل مشاركته في آماله وآلامه وان ينيروا امامه الطريق الى امانيه الوطنية والقومية ، ولكن تلك المجلات لم تفعل شيئا من ذلك وكانت النتيجة الحتمية ان انفصل عنها قراؤها لانها انفصلت عنهم ومن ثم تهاوت الواحدة اثر الاخرى .

واما هجوم الاستاذ على الشعر الحر ووصفه له بالشعر الخبيث السبيء وغير ذلك من النعوت ، فهذا شيء ليس بالجديد ، وقد دأب على ترديده حتى مله القارىء . حقيقة ان هناك شعرا رديئا كمثل هذير مجلة (( شعر )) وغيرها .. ولكن من الظلم والاجحاف ان يرمى الشعر الحر كله بالرداءة والضحالة لمجرد ان بعض الادعياء يكتبونه . وللاستاذ منير ايضا طريقة عجيبية في نقده للشعر الحر فهو يقرأ القصيدة او الديوان كله ثم يمسك بتلابيب بيت مسكين واحد ويوسمه نقدا وتجريحا ثم يخلص الى ان الشعر الحر كله رديء لانفع منه ، وهل ياترى اذا اتبعنا هذه الطريقة العجيبة في نقدنا لشعر منير - وهو نفسه شاعر - وامسكنا ببيت واحد من شعره ثم خلاصنا الى ان شعره كله رديء لان له بيتا لايعجبنا ، ترى هل يقبل ذلك ويوافق عليه ؟؟ ترك الجواب للاديب نفسه . وهل هكذا ينقد الشعر ؟؟

واخيرا فان لنا الرجاء البسيط للاستاذ منير وهو ان يحترم عقول قرائه والا يطلق حديثه جزافا والا فليستك وله منا الف شكر .

حسن احمد حسان

بور سودان